وانما كان من اجل دقته وخفائه وانه امر الخطأ فيه اكثر من الاصابة. فانت
ترى القدرية والجبرية الى يومنا هذا يختصمون فيه وينا قض بعضهم بعضا
ولا يصلون منه الى شفاء نفس. وكل فرقة من الفرقتين يقضي مذهبها
الى شناعة اذا الزمتها فرت عنها. وكلا الطائفتين قد اخطأت في التأويل.
وضلت عن نهج السبيل. ووصفت الله تعالى بصفات لا يليق به عند ذوي
العقول. وهذه اعزك الله جملة قليلة تفصيلها كثير. وهو باب ضيق المجال
جدا. والخائض فيه تسبق اليه الظنة بغير ما يعتقده فلذلك تحامى العلماء
فيه باكثر مما نبهنا عليه. مع انا لم نضع كتابنا هذا للخوض في المقالات
انما وضعناه لتبيين احد المواضع التي منها نشأ الخلاف لكنا نقول
ينبغي لمن طلب هذا الشأن ولم يقنعه ما رآه العلماء من ترك الخوض فيه
وتوهم ان له منة يصل بها الى الحقيقة من امره ان يراعي اصلين
فان صح له من معتقده فليعلم انه قد اصاب نص الحق وان اخطأهما
او واحدا منهما فليعلم انه قد غلط فليراجع النظر. احدهما ان لا فاعل
على الحقيقة الا الله وان كل فاعل غيره انما يفعل بمعونة من عنده ومادة
يمده بها من فيضه وحوله. ولو وكله الى نفسه لم يكن له فعل البتة.
والثاني ان افعاله الباري تعالى كلها حكمة محضة لا عبث فيها. وعدل
محض لا جور فيه. وحسن محض لا قبح فيه. وخير محض لا شر فيه. وان
هذه الاشياء انما تعرض في افعالنا لما لوقوع الامر والنهي علينا.
واما لما تركب في خلقتنا من القوة العقلية التي يرينا بعض الاشياء حسنا
وبعضها قبيحا وكلا الصفتين لا يوصف بهما الباري لانه لا آمر فوقه
ولا ناهي وهو خالق العقل وموجده وجلت ذاته ان يشبه شيئا من المخلوق

في جهة من الجهات فكل قول ادى الى تشبيهه تعالى بخلقه في ذات او فعل فارفضه
رفض النواة وانبذه نبذ القذاة. واعلم بان الحق في غير فابحث عنه
حتى تظفر به وان لم يتفق لك فهو الغرض منه والمراد فاشدد يديك بعروة
هذا الاعتقاد. ولا تتهم بارئك في حكمته ولا تنازعه في قدرته. واعلم
انه غني عنك وانت مفتقر اليه. وما ورد مما تودت من عملك عليه تبارك المتفرد
بالقضية واحكامه الذي لا ينازع في نقضه وابرامه. ولا يمتري العاقل
في عدله. ولا ييأس المذنبون من عفوه وفضله. لا رب سواه. ولا معبود
حاشاه

الباب الرابع في الخلاف العارض من جهة العموم والخصوص

هذا الباب نوعان احدهما يعرض في موضع اللفظة المفردة والثاني يعرض
في التركيب فاما الذي يعرض في موضوع اللفظة المفردة فنحو الانسان
فانه يستعمل عموما وخصوصا اما العموم فكقوله تعالى يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم. وقوله ان الانسان لفي خسر. وبدليل ان اللفظ
عام لا يخص واحدا دون آخر. قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
فاستثنى منه ولا يستثنى الا جملة ونحو هذا قول العرب
اهلك الناس الدينار والدرهم. وقولك الملك افضل من الانسان والانسان
متعبد دون سائر الحيوانات والخصوص نحو قولهم جاء الانسان الذي نعلم
ولقيت الرجل الذي كلمك. وقولهم شربت الماء واكلت الخبز ولم
يشرب جميع الماء ولا اكل جميع الخبز وهذا كثير مشهور يغني شهرته
عن الاكثار منه. وقد يأتي من هذا الباب في القرآن والحديث اشياء
يتفق الجميع على عمومها او على خصوصها واشياء يقع فيها الخلاف
فمن العموم الذي لم يختلف فيه قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم

Copyright © King Saud University